حول قضية « البيان العاجل »

كان للبيان المشترك الذي أصدره أدباء عرب ويهود في الارض المحتلة — الاتحاد ٧ — ٦ — ٧٤ ، والذي يفهم منه مساواة للارهاب الصهيوني بالمقاومة الفلسطينية ، صدى كبير . اذ انه فتح أبواب النقاش واسعة في موضوع الادب الفلسطيني . ثم كان لتراجع ادباء الارض المحتلة عن هذا البيان ، بعض الترحيب . غير ان الشكل الذي بدأ يأخذه النقاش بعد مقال محمود درويش السياسي « ادباء المقاومة ضد المقاومة » — المحرر ٢٥ — ٧ — ٧٤ — والذي حاول فيه طرح المسألة بشكل سياسي وموضوعي هادىء ، قد تحول من نقاش سياسي الى نقاش بلا هدف ، وخاصة في الرد الشخصي الذي كتبه أحد الموقعين على البيان في الارض المحتلة في جريدة « الفجر » . ومن موقع الحرص على أدبنا الفلسطيني ، وثقافتنا الثورية ، فاننا نشير الى ثلاث ملاحظات :

أولا : لقد كان للادب القادم من ظلام الاحتلال الاسرائيلي ، ايقاع البشارة بالنسبة لنا . فهذا الجزء من شعبنا ، الذي يعيش داخل الغيتو القمعي الاسرائيلي ، ينتفض ، ويرفع صوته ، ويقاوم . وكان ترحيبنا ، يتفهم ظروف هذا الادب ومبلغ معاناته . لذلك ، لم نكن لنطالبه فنيا وسياسيا بأكثر مما يستطيعه ، أو بأكثر مما يسمح له الواقع الموضوعي الذي يعيش في ظلاله . ويبقى هذا الادب ، جزءا من تراثنا النضالي ، الذي يجب ان نحافظ عليه وندعمه ونهيىء له أفضل الظروف التي نستطيعها . ان هذا الموضوع المبدئي ، لا يمكن ان يخضع لاي نقاش . لكن هذا لا يعني حصانة مطلقة ، لا نخال احدا يطلبها . فهذا الادب هو جزء من كل ، ويحق للاجزاء والافراد ، النقاش سياسيا حول مسائل قد تبدو خاطئة ، او قد تكون خاطئة فعلا ، كما في البيان الاول الذي نشرته — الاتحاد — . ان البقاء داخل الارض المحتلة ، رغم العسف والاضطهاد ، هو أمر مشرف ونضالي . لكن الاقامة خارجها ، ليست عارا ولا عبئا . فلقد فرضت هذه الاقامة على أكثرية شعبنا ، وثورتنا تنطلق من الخارج . لا حصانة لاحد — لاسباب جغرافية — ولكن للجميع حصانة شرف الكلمة التي تناضل في الخارج وفي الداخل معا . ان جدارة الادب الفلسطيني تحدد بالتزامه بحركة الشعب الفلسطيني وثورته .

ثانيا : ان الحوار الديمقراطي ، هو ميزة المناضل بالبندقية والكلمة . فالتعدد لا يعني تبعثرا ، بل يعني اننا أعضاء في جسد سليم ، تدور فيه فصول الحياة ، وتشرق عليه شمسها . لذلك يستطيع هذا الجسد تقويم اخطائه . غير ان للحوار الديمقراطي ، شروطا لا يمكن التخلي عنها. فيجب ان تتجاوز الانانيات الفردية لتصل فعلا الى قدرة على المخاطبة والرجوع عن الخطأ . لكن هذا الحوار ، لا يمكن أن يجري ، الا بلغة حملت دماء شعبنا طويلا ولا تزال تحمله . فاللغة الثورية المناضلة ، لا تتخلى عن الدماء وتتلهى بحبر مسموم وسطحي . ومن هذه الزاوية نرى من الواجب ان نستنكر الاسلوب الذي رد به أحد شعراء الارض المحتلة على زملائه في الخارج ، فنزل بالنقاش من المستوى الفكري الى المستوى الشخصي .

ثالثا : ان للكلمة ايقاعا نضاليا لا يمكن ان نتخلى عنه أو نفرط به . الكلمة سلاح من أجل المستقبل ، وليست في أيدي ثقافتنا الفلسطينية سوطا قمعيا . لذلك فان للنقاش بالكلمة شروطا أولها التواضع الذي نتلقاه درسا ، من أبناء شعبنا ، الذين يسجلون أروع لحظات تاريخنا في عرس دموي ومجاني ، وبلا شروط سوى الوصول الى جسد الوطن .

ان النقاش السياسي والثقافي ، ضروري وفعال . شرط ان لا ينزلق الى مواقع السائد القمعي .

لا تريد هذه الملاحظات سوى أن ترفع صوتا ، يؤكد الحقائق التي اصطلحنا عليها بالممارسة . فثقافتنا الثورية هي رؤيا ومستقبل : رؤيا لسلام تصنعه الجماهير الثورية المقاتلة ، ومستقبل ثقافي نصل فيه الى القدرة على التعبير عن انفسنا بلغة جديدة . تغسل بقع الظلام عن الافق .